Le cérémonial diplomatique au temps des Mamelouks : Révélateur de la magnificence du sultan

Sami Benkherfallah

► To cite this version:

Sami Benkherfallah. Le cérémonial diplomatique au temps des Mamelouks : Révélateur de la magnificence du sultan. *Revue Académique des Etudes Sociales et Humaines*, 2018, 20, C (2), pp.12-24. halshs-01729752v3

HAL Id: halshs-01729752

<https://shs.hal.science/halshs-01729752v3>

Submitted on 20 Sep 2018

HAL is a multi-disciplinary open access archive for the deposit and dissemination of scientific research documents, whether they are published or not. The documents may come from teaching and research institutions in France or abroad, or from public or private research centers.

L'archive ouverte pluridisciplinaire **HAL**, est destinée au dépôt et à la diffusion de documents scientifiques de niveau recherche, publiés ou non, émanant des établissements d'enseignement et de recherche français ou étrangers, des laboratoires publics ou privés.

Etudes Sociales & Humaines

N° 20- June 2018

C/ Social Sciences

*Academic Journal of Social
and Human Studies*

الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية

العدد - 20 جوان 2018

(ج) العلوم الاجتماعية

*Academic Journal of Social
and Human Studies*

المجلس العلمي			
أ.د مهدي حسان تقيّة	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	د.مروفل مختار
أ.د ضامر وليد عبد الرحمان	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	د.محمد بكار
أ.د بوبكر جيلالي	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	أ.بلهادية عمر
د.مصطفى مغزاوي	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	د.صبرينة دحماني
د.عبد القادر شارفي	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	أ.بن طالب ابتسام
د.محمد زيان	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	د.سعيد زروقي يوسف
د.زهير لونيس	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	د.بن يوسف حفصاوي
د.جمال قندل	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	د.بلعزوز العربي
د.قاسمي بختاوي	جامعة حسيبة بن بوعلي	الشلف	د.طوالبيّة محمد
د.عبد الوهاب سويّ	جامعة ابي بكر بلقايد	تلمسان	

Présentation

La « Revue académique des études Sociales et Humaines» est une publication scientifique académique avec comité de lecture international, à parution semestrielle en langues arabe, anglaise et française. Elle est éditée par l'Université Hassiba Benbouali de Chlef, Algérie.

Thèmes

La revue se décline en trois séries :

– Série A : Economics and Law.

– Série B : Letters and Languages.

– Série C : Social Sciences.

- Pour toute correspondance administrative, s'adresser à : Direction des publications, bloc recherche, 3^{ème} étage, Université Hassiba Benbouali de Chlef, BP 151, 02000, Chlef.
 - Toute soumission d'article se fait **exclusivement** par voie électronique à l'adresse :
- Email** : raesh_journal@univhb-chlef.dz

La Revue Académique des Etudes Sociales et Humaines est indexée par :

- PROQUEST, Michigan,USA

- EBSCO, Massachusetts, USA

- le Système National de Documentation en Ligne

تقديم

الأكاديمية للدراسات الإجتماعية و الإنسانية هي مجلة دولية سداسية تعنى بنشر الأبحاث في مختلف مجالات العلوم الإجتماعية و الإنسانية باللغات الثلاث : العربية. الإنجليزية . الفرنسية. المجلة تصدر عن جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف.

- تنقسم المجلة إلى ثلاث أقسام :
- أ/ قسم العلوم الإقتصادية و القانونية.
- ب/ قسم الآداب و الفلسفة.
- ج/ قسم العلوم الإجتماعية.

- la librairie en ligne ALMANHAL

et l'AFRICAN JOURNAL ONLINE

مدير المجلة : أ.د. العباسي عبد الله مدير جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف

رئيس تحرير المجلة : أ.د. مزريق عاشور

السكرتير العام : ساجي أبو بكر

رئيس هيئة التحرير : د. جيلالي تکران

هيئة التحرير : د. مصطفى مغزاوي

د. عبد العزيز ديلمي

د. يوسف سعيدي زروقي

د. ملوكة عرابي

التصميم الفني: المداحي أحمد

- تُعنى مجلة الأكاديمية في قسمها الثالث بالبحوث في العلوم الاجتماعية.
- تخضع البحوث المقدمة إلى المجلة للتقويم والتحكيم حسب الأصول المتبعة.
- تُقبل البحوث باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية.
- يكون البحث المقدم للمجلة مستوفياً شروط البحث العلمي من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير وعلى الباحث مراعاة أسلوب البحث بحيث يكون موافقاً للقواعد اللغوية.
- ألا يتجاوز البحث المقدم خمسة عشر صفحة من الحجم العادي (A4).
- يرفق البحث بملخص باللغتين العربية والإنجليزية بما لا يقل عن خمسة عشر سطراً.
- يشترط في عنوان البحث والكلمات الدالة أن تكون باللغتين العربية والإنجليزية.
- ألا يكون البحث قد سبق نشره على أي نحو كان أو تم إرساله للنشر في مجلة أخرى ويتعهد الباحث بذلك.
- لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مرور سنة على تاريخ نشره في المجلة.
- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه لأي جهة أخرى للنشر حتى يصله رد المجلة.
- يلتزم الباحث بإجراء تعديلات المحكمين على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة في مدة لا تتجاوز 15 يوماً.
- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد إرساله للتحكيم إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير.
- يرفق البحث بمعلومات تخص الباحث، تتضمن اسمه ودرجته العلمية، وتخصصه، ووظيفته والجهة التي يعمل بها، رقم هاتفه وبريده الإلكتروني.
- قرارات هيئة التحرير بشأن البحوث المقدمة إلى المجلة نهائية، وتحتفظ الهيئة بحقها في عدم إبداء مبررات لقراراتها.
- يرسل الباحث نسخة إلكترونية من بحثه على بريد المجلة الإلكتروني على العنوان التالي: (raesh_journal@univ-chlef.dz)
- تكتب المادة العلمية العربية بخط من نوع Simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي Simplified Arabic 14، العناوين الفرعية 12 Simplified Arabic، أما الفرنسية أو الإنجليزية فتقدم بخط من نوع Times New Roman مقاسه 12.
- هوامش الصفحة تكون كمايلي: أعلى 02، أسفل 02، يمين 02، يسار 02، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25، حجم الورقة مخصص (16x 23.5).
- ضبط الجداول و الأشكال مرقمة ومعنونة وفقاً لهوامش الصفحة الأنفة الذكر ويستحسن أن تعد بالطريقة الآلية أي بالبرامج المخصصة لها.
- يجب إثبات الهوامش مستوفاة في آخر البحث.
- يجب أن يعرض رقم التهميش والإحالات في المتن بطريقة يدوية (1) (2) ... على أن تثبت في نهاية المقال وفق الترتيب التالي: المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، عنوان المجلة أو الملتقى، الناشر، البلد، السنة، الطبعة والصفحة، وذلك وفق منهجية الجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA).
- البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن هيئة التحرير أو المجلة.

SOMMAIRE

الفهرس

3....	■ القيادة والبيروقراطية د. عبد الله بن مسفر الوقفاني
17....	■ واقع البرامج التدريبية لمعلمي الدراسات الاجتماعية أثناء الخدمة في محافظة اريد زكريا مصطفى علي خصاونه
29....	■ دور مكاتب جبهة التحرير الوطني في حشد الدعم للقضية الجزائرية في بلدان غرب أوريا1955.1960 د. عمر بوضربن
34....	■ العقلنة لدى مرضى القصور الكلوي دراسة عيادية لعائتين بالمؤسسة الإستشفائية مرواني عابد بالشطيةالشلف. باستعمال تقنية الرور شاخ دلونيس زهير آين حمادي ابراهيم أشيهان عبد الملك
42....	■ نظرية طرد الهم عند ابن حزم الظاهري د. سعد عبد السلام
50....	■ واقع الخدمات الطبية المساندة المقدمة للأطفال ذوي الإعاقة العقلية من وجهة نظر معلمات التربية الخاصة في محافظة المفرق في الأردن د. عاكف عبدالله الخطيب
68....	■ ثورة التحرير الجزائرية ومبدأ أخذ سلاحك من عدوك- 1954 ـ 1959 (نماذج ونتائج) د. العربي بلعزوز
75....	■ مستوى ممارسة إدارة الذات لدى معلمي الرياضيات في المرحلة الثانوية من وجهة نظرهم د. حسين عسكر الشرفات د. صالح سويلم الشرفات أ. حسين مشوح القطيش
86....	■ أبو حامد الغزالي... المسيرة العلمية معالم سيرة ذاتية... أو حينما يكون سؤال المعرفة طريقا لمعرفة الذات د. بلعالم عبد القادر
95....	■ فتاوى الاحتفال بالولد النبوي الشريف بالمغرب والأندلس د. عبد الكريم طهير
102....	■ الديمقراطية الليبرالية بين التنظير العدمي والممارسات الجاحدة للآخر د. صبياد فاطمة
108....	■ القضاء ودوره في استقرار المجتمع المغاربي والأندلسي زمن الدولة الموحدية(541.667هـ/1147.1269م) أ. بوزياتي محمد
113....	■ تاريخ مدينة مليانة من خلال الكتابات التاريخية د. ابراهيم نغلي
122....	■ صعوبات توظيف الأساليب الإحصائية في البحوث الاجتماعية د. فاطمة مساني
134....	■ محمد بن علي السنوسي، منابع علمه ومنهج طريقته د. ميلود ميسوم
143....	■ الحدث الكلامي صناعة مكتسبة عند ابن خلدون د. قسول ثابت
151....	■ جدلية العلاقة بين العلم والدين والتباساتها في الفكر الإسلامي المعاصر د. بن بودينن عمر
160....	■ ممارسة الأنشطة البدنية والرياضية وانعكاسها على درجة السلوك التربوي الرياضي لتلاميذ مرحلة التعليم الثانوي دراسة ميدانية لبعض ثانويات ولاية الشلف د. سعداوي محمد د. بن هيبنتاج الدين أ. قراشة الطيب
167....	■ الشباب الجزائري بعد ثورات 2011 بين التضمين والاستبعاد د. بوشمته الهادي
182....	■ إشكالية طرح إشكالية محكمة (ممنهجة) في العلوم الاجتماعية د. سعدي لويضة
186....	■ سياسة الحاكم العام هنري كاردر Jules HenriCard تجاه جمعية العلماء وجماعة النخبة بين 1930-1935 طالبة دكتوراه. أمينة مسعودي د. جيلالي تكران
196....	■ العوامل المؤثرة على الانضباط الذاتي في الإدارة الجزائرية طالبة دكتوراه لطفي بوحويته أ. د. مهدي حسان تقيته
205....	■ العولة وصراع القيم الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية أ.د. ضامر وليد عبد الرحمن أسعدي أسماء
212....	■ النضال النقابي في الحزب الدستوري التونسي الجديد الوجه الآخر للكفاح التحرري طالبة دكتوراه. ليلى بوجلal أ.د. نور الدين ثنيو
221....	■ التدهور البيئي في منطقة المتوسط : المظاهر والآثار طالبة دكتوراه. بن دومين تعيمته أ.د. نوري منير
232....	■ التحولات السوسيوثقافية داخل الأسرة الجزائرية المعاصرة د.سعداوي زهرة طالبة دكتوراه. زاوي فاطمة الزهراء

■ Allaitement et surpoids des enfants de moins de cinq ans selon l'enquête Algerienne MICS 4 2012-2013 Dr. Zoubida BELARBI	3....
■ Le cérémonial diplomatique au temps des Mamelouks Révélateur de la magnificence du Sultan Doctorant Student Sami BENKHERFALLAH	12....

Le cérémonial diplomatique au temps des Mamelouks

Révéléateur de la magnificence du sultan

The diplomatic ceremonial during the Mamluk period : a revelant indicator of sultan's magnificence

المراسيم الدبلوماسية في عصر المماليك: رمز رفعة السلطان

BENKHERFALLAH Sami

Doctorant en Histoire

Centre d'études supérieures de civilisation médiévale – University of Poitiers, France

Laboratoire des Études civilisationnelles & intellectuelles – University of Tlemcen, Algeria

sami.benkherfallah@outlook.com

المخلص

تعتبر هذه الورقة بمثابة مدخل إلى عالم الدبلوماسية في البلاد الإسلامية على عهد المماليك و هي تتناول بشكل خاص طريقة سير المراسيم التي تصاحبها. والحاصل أن صفة المراسيم تشكل ظاهرة متفردة في الحياة اليومية لدولة المماليك و الشأن الدبلوماسي المرتبط بها، أين يغلب على حفل مراسيم استقبال و اعتماد الوفود الدبلوماسية إصرار على إبراز كل ما يرمز إلى قوة السلطان من حيث ثروته و رفاهية البلاط، كما أن القراءة التحليلية التي أجراها السيد بليني من خلال المشهد الذي يصور واحدة من عينات هذه المراسيم التي حدثت في دمشق يشكل مثالا حيا تتوق هذه الورقة العلمية وتسعى إلى دراسته .

الكلمات المفتاحية : الدبلوماسية – المماليك – المراسيم الدبلوماسية – البلاط المملوكي – التاريخ – تاريخ الفن

Résumé

Ce propos se veut être une introduction à la diplomatie au temps des Mamelouks et du cérémonial qui l'accompagne. Le cérémonial est un phénomène récurrent dans le quotidien des Mamelouks où la réception d'ambassade laisse s'exprimer le luxe et les richesses du Sultan et de sa cour. L'analyse du tableau de Gentile Bellini proposée dans cet article représente vraisemblablement une réception d'ambassade vénitienne à Damas.

Mots-clefs : Diplomatie – Islam médiévale – Mamelouks – Cérémonial – Histoire – Histoire de l'art.

Abstract

This presentation is an introduction to islamic diplomacy and its ceremonials during the Mameluk period. The ceremonial is a reccurent phenomenon in the everyday lives of the Mamluks, where the ambassy reception shows luxury and the riches of the sultan and its court. The analysis of Gentile Bellini's painting suggested in this article, which represents obviously an ambassy reception in Damascus, is an excellent exemple of it.

Keywords : Diplomacy – Medieval islam – Mamluks – Ceremonial – Art history.

Les Mamelouks forment une dynastie d'esclaves ayant pris le pouvoir en Égypte après leur victoire sur les Mongols à Ain Jalût en 1260. Il s'agit d'un frein à leur expansion vers la Méditerranée. Les musulmans se sont trouvés dès lors sans calife, étouffé par les Mongols à Baghdâd quelques années auparavant (1258). Baybars, en fin stratège restitua le califat en Égypte, en intronisant un des derniers descendants du calife abbasside, ce qui lui conféra une légitimité politique qu'il ne possédait pas auparavant. Il s'en suit deux siècles et demi de pouvoir sur une partie du monde musulman, de rayonnement culturel, artistique et scientifique.

Le luxe est un élément essentiel de l'apparat des souverains d'Égypte et, plus particulièrement, de l'ère mamelouke. Ainsi, la cour a manifesté tout au long de la période un intérêt singulier pour la forme et l'apparence. Ces soldats, issus de régions âpres, vont se familiariser assez rapidement avec les richesses que leur procurent les terres d'Égypte et de Syrie.

Le cérémonial apparaît comme un véritable outil illustrant la hiérarchie sociale que le sultan veut imposer et faire paraître.

LE CEREMONIAL A LA COUR

Le cérémonial fait partie du quotidien des Mamelouks et de la société civile, se manifestant tout au long de l'année de manière spontanée (ou calendaire) comme lors de l'accession au trône d'un nouveau sultan ou de la réception d'un dignitaire étranger. De tels événements donnent ainsi lieu à un décorum minutieusement ordonné, dicté par des codes clairement établis, suivant un itinéraire préalablement défini. Mais leur but était précis : celui de distraire la population tout en mettant en évidence un rapport de force manifeste par le biais de la puissance militaire et de l'exhibition des richesses sultaniennes.

LE CALENDRIER CEREMONIEL

Il existe deux types de manifestation :

- Les manifestations calendaires : fêtes religieuses et fêtes civiles.
- Les manifestations ponctuelles (*bashâ'ir*) : annonces d'un événement important.

Les manifestations calendaires donnaient lieu à un cérémonial à la fois inspiré des calendriers solaire et lunaire.

Le *calendrier solaire*, dit civil :

- Cérémonial de la crue du Nil¹.
- Cérémonial du changement de vêtements saisonnier².
- Cérémonial ayant trait aux tournois de polo³.

Le *calendrier lunaire*, dit musulman :

- Salutations annuelles des dignitaires au sultan
- *Mawlid* (= fête célébrant la naissance du prophète Muhammad⁴ - 12 *Rabî'al-awwal*)
- Départ et retour du pèlerinage à La Mecque donnant lieu à la cérémonie du *mahmal*⁵ (10 *dhû al-hidja*)
- Lecture des hadiths⁶ de Bukhârî⁷ → Derniers jours du *Ramadhân*⁸
- *'Aid al-fitr* (= fête de la rupture du jeûne) → Dernier jour du mois de *Ramadhân*⁹
- *'Aid al-adha* (= fête du sacrifice) → 10^e jour de *dhû al-hidja*
- La prière du vendredi (*salât al-jumu'a*)¹⁰

Ces événements étaient l'occasion d'organiser de grandes manifestations militaires à cheval¹¹ accompagnées de prouesses sportives¹². Ils se déroulaient dans de somptueux décors et les vêtements arborés ces jours-là étaient d'un grand luxe. Notons que, outre ces cérémonies habituelles, d'autres manifestations, dites spontanées, interviennent au fil de l'année comme la réception de hauts dignitaires étrangers.

Les *manifestations spontanées* :

- Cérémonies sultaniennes à la Citadelle
- Retours victorieux¹³
- Mariages
- Circoncisions

- Naissances
- Réjouissances spontanées (chasses, jeux)
- Audiences ordinaires de la cour (audience des *Mazâlim*)¹⁴
- Réceptions d'ambassades et de dignitaires¹⁵

LES RECEPTIONS D'AMBASSADES

Les études menées sur la diplomatie connaissent un regain d'intérêt chez les chercheurs depuis quelques années¹⁶. La diplomatie a, de tout temps, assuré un pont culturel, commercial et politique entre espaces et religions.

Les réceptions d'ambassades concernent de près la vie de cour. Ainsi, le sultan choisissait les ambassadeurs parmi ses courtisans qui étaient les plus à même de le représenter. Cette mission exige des qualités propres au statut d'ambassadeur. Ces derniers pouvaient être issus de l'élite militaire (émirs), civile (hauts fonctionnaires), religieuse (patriarches melkites) ou marchande (négociateurs). La cour se trouve, de ce fait, sur le devant de la scène des échanges diplomatiques.

Le palais de la Citadelle, au cœur duquel les ambassadeurs étaient reçus, formait le cadre idéal d'exposition de toutes les richesses et d'un savoir-faire particulier en matière d'hospitalité¹⁷. Les réceptions d'ambassades représentaient la meilleure occasion de se rendre compte du faste des sultans et constituent, pour le sultanat, une réelle vitrine de sa magnificence et sont, pour le sultan qui s'y prépare scrupuleusement, un véritable enjeu diplomatique et relationnel.

L'accueil varie en fonction de l'interlocuteur reçu, on peut y observer cinq critères :

- La puissance, le statut et le poids de l'interlocuteur sur la scène diplomatique.
- La nature de la relation (bonne / mauvaise ?).
- Le critère de réciprocité.
- L'intérêt du déplacement et son enjeu.
- La connaissance de l'autre. Ainsi, verrons-nous dans le cas de la venue d'une délégation vénitienne à Damas que le faste est moindre puisque les protagonistes en présence se connaissent déjà très bien.

LA COUR, UN PREALABLE AUX NEGOCIATIONS

Éléments fondamentaux et normes diplomatiques

Avant tout, il semble nécessaire de rappeler quelques éléments essentiels propres à la diplomatie musulmane et mamelouke.

Les réceptions avaient généralement lieu dans le grand *Iwân* de la Citadelle, alors subtilement décoré pour l'occasion¹⁸.

L'objet des négociations pouvait varier :

- La paix
- Le commerce
- Les prisonniers
- Les esclaves
- Les affaires épistolaires, culturelles ou scientifiques
- La simple courtoisie

Concepts généraux

La diplomatie musulmane s'est inspirée de celle en vigueur à l'époque du prophète Muhammad. Ainsi, les règles instaurées lors du développement du premier État musulman à Médine¹⁹ se sont perpétuées plusieurs siècles durant. Le monde se diviserait dès lors en deux espaces :

- Terre d'Islam (*dâr al-Islâm* : situation de « paix »).
- Terre de mécréance (*dâr al-Kufr* : situation de guerre ou de trêve).

Les relations devant être régies entre ces deux parties relèvent d'un état de guerre continu, selon deux cas de figure distincts :

- Le territoire de la guerre (*dâr al- harb*).
- Le territoire de l'accord (*dâr al- 'ahd*).

Ce que l'on appelle « paix » en Occident chrétien est en réalité une trêve (*hudna*²⁰) dans le monde musulman.

Quatre types de traités existent :

- Traité de soumission
- Traité d'alliance
- Traité de commerce (lié à la trêve)
- Traité de trêve (lorsque la paix ne peut être maintenue)

Figure 01 : Schéma récapitulatif

Dès lors, ces éléments constituent la base de la diplomatie islamique qui s'est complexifiée au fil du temps. Les fonctionnaires de la chancellerie avaient en charge l'écriture des correspondances entre souverains. Certains d'entre eux nous ont fait parvenir des manuels de chancellerie à l'image d'al-Qalqashandî²¹ où est définie la forme des actes et du protocole. Des émissaires, nommés *safir* (plu. *safirûn*) avaient pour mission, quant à eux, de transmettre des lettres diplomatiques. A noter que la carrière d'ambassadeur n'existe pas, seul le temps de la mission lui assure ce statut.

LA GUERRE SUBORDONNÉE À LA DIPLOMATIE

La guerre régit l'essentiel des relations alors entretenues. La tradition diplomatique musulmane veut qu'un souverain prévienne son adversaire avant de l'affronter et l'incite à se soumettre à son autorité. Ainsi, durant les premiers temps de l'Islam, les généraux arabes chargeaient leurs armées nouvellement converties de prévenir leurs ennemis avant de les attaquer, leur demandant d'accepter l'islam comme religion ou de conserver la leur en échange du paiement d'un tribut. Si les Mamelouks avaient abandonné cette tradition, certains souverains se sont réappropriés cette pratique comme ce fut le cas lors de leur confrontation avec les Mongols de Perse. Il est possible d'affirmer sans ambages que la guerre induit, en partie, les relations diplomatiques des puissances musulmanes de cette époque, puisque lorsqu'elles n'étaient pas en guerre, elles s'apprétaient à le devenir. En effet, chaque

puissance musulmane se devait de maintenir ses frontières ou de les étendre.

La guerre implique, par défaut, le *jihâd* (la guerre sainte). Cette notion est réglée par une juridiction complexe. Ibn Taymiya²² apparaît comme l'un des plus grands théologiens à avoir étudié la question. Ayant vécu à l'époque mamelouke, il porte à notre connaissance nombre d'éléments concernant la diplomatie entretenue par les Mamelouks à l'égard des Mongols, ces derniers ayant envahi les territoires mamelouks²³ entre 1299 et 1303. Dans une lettre²⁴, il interpella le sultan Muhammad b. Qalâwûn²⁵ sur la nécessité de déclarer le *jihâd* à leur encontre ; Ibn Taymiya considérait les Mongols comme des polythéistes faussement convertis à l'islam ou du moins pratiquant un islam déviant.

Le *jihâd* pouvait également être mené à l'intérieur des frontières. Dans ce cas les individus visés étaient²⁶ :

- Les rebelles (*bujât - mutamaridûn*)
- Les apostats (*ahl al-rida*)
- Les brigands (*muhâbirûn*)

Selon al-Mâwardî²⁷ (450H/ 1058) dans *les ahkâm al- sultâniyya*, la guerre sainte pouvait être menée contre les polythéistes (*mushrikûn*), les hérétiques et les brigands. Deux termes désignaient alors la guerre. D'une part, le *jihâd* qui désignait la guerre sainte et, d'autre part, le *qitâl* qui peut être traduit par « tuerie » ou « affrontement mortel »²⁸.

Le *jihâd* prend une toute autre tournure au temps des Mamelouks, dont la seule légitimité était tirée de la guerre. Sa proclamation relevait de la responsabilité du calife, qui n'avait toutefois plus qu'un rôle symbolique depuis le X^e siècle, voilà pourquoi la charge avait été déléguée au sultan. Ces prérogatives sont sans cesse rappelées dans les titulatures des sultans, tout comme dans leurs discours, ainsi que le rappelle le calife :

« Sachez, ô hommes, que l'imamat est l'une des prescriptions obligatoires de l'Islam, que le *jihâd* est prescrit à tous les hommes, mais que l'étendard de ma guerre sainte ne saurait être brandi que si l'union règne parmi les serviteurs de Dieu [...] Ce sultan, al-Malik al-Zâhir, le seigneur illustre, savant, juste, le

combattant de la foi, le gardien des frontières, le pilier du monde de la religion, s'est dressé pour défendre l'imamat, qui ne comptait plus qu'un petit nombre de combattants. Il a dispersé les armées infidèles qui avaient déjà pénétré au centre de nos pays. Grâce à ses soins, le serment de fidélité a été prêté universellement et la dynastie abbasside qui a trouvé de nombreux soldats.»²⁹

LE COMMERCE

L'histoire témoigne de nombreux cas où l'intérêt commercial a pris une place importante dans les clauses évoquées lors des échanges diplomatiques et cela dans le but d'élaborer des marchés ou de régler des différends entre commerçants³⁰. Les *khawâjâ*³¹ représentaient les intérêts marchands du sultan et plus précisément en ce qui concerne le commerce des esclaves³². Quant aux négociants, on leur préfère le terme de *kârimî*. Certains marchands semblent même être de véritables partenaires du sultan, en somme des interlocuteurs privilégiés de la diplomatie sultanienne.

Sur place, divers aménagements étaient réservés aux étrangers, marchands ou au corps diplomatique :

- Les caravansérails : les voyageurs y logent et stockent leurs marchandises
- Les consulats : représentation diplomatique

LA RECEPTION, LA CORRESPONDANCE ET LE PERSONNEL

Le statut d'ambassadeur ne constituait pas un métier à part entière. De fait, celui qui était investi de cette mission devait posséder les qualités propres à celle-ci. Ce pouvait être un haut dignitaire religieux, musulman ou chrétien, voire un haut fonctionnaire de l'élite civile ou militaire. Prenons ici un exemple : Ibn Khaldûn³³ était un homme de cour qui travailla pour les plus grands royaumes de l'ensemble du monde musulman pour lesquels il a souvent rempli la fonction d'ambassadeur. Il fut notamment envoyé auprès des têtes couronnées chrétiennes d'Espagne au service de souverains d'Afrique du Nord. Durant son séjour au Caire, le sultan l'a nommé ambassadeur alors qu'il occupait la fonction de grand cadi malikite, dans le but

d'aller négocier auprès de Tamerlan qui venait de ravager Alep.

L'ambassadeur devait être un homme pieux, de bonne réputation, honnête, regroupant toutes les qualités morales du « bon musulman »³⁴. Il s'agit, bien évidemment, de la norme, dans la pratique il en va autrement. L'histoire compte plusieurs ambassadeurs malicieux, hypocrites, antipathiques et ne portant aucun intérêt aux prérogatives religieuses.

L'utilisation d'interprètes, par ailleurs, est essentielle. Ils sont appelés *drogmans* et sont incontournables dans toutes négociations quelle qu'en soit la nature (politique, commerciale, amicale). Nombreux interprètes se sont convertis à l'Islam, leur double culture est, pour eux, un atout indéniable. Les États les moins puissants du *dâr al-Islâm* ont dû recourir à des interprètes non-musulmans pour répondre aux exigences du protocole diplomatique. Ainsi, l'essor du commerce avec l'Europe a engendré une demande de traducteurs au service de la chancellerie plus importante. De nombreux étrangers poussés par l'esprit d'aventure ont ainsi fini par intégrer le personnel diplomatique des souverains musulmans.

Les délégations diplomatiques en mission pouvaient rester plusieurs semaines, plusieurs mois, voire même plusieurs années. Les ambassadeurs devaient patienter longuement avant d'être admis en audience auprès du souverain³⁵ et ils devaient, au minimum, parler la langue du pays dans lequel ils se rendent ou du moins disposer de traducteurs.

Bien que le métier d'ambassadeur n'ait pas existé en tant que tel, certains ont occupé cette fonction à plusieurs reprises devenant ainsi de véritables professionnels de la diplomatie, tel a été le cas d'Ibn Khaldûn ou encore de l'émir Fares ad-dîn al-'Amidî qui, au moins trois fois, remplit cette mission auprès de la cour byzantine. Notons d'ailleurs que durant près de deux ans il a été retenu à Constantinople avant d'être rejeté par Baybars à son retour pour non-respect du protocole.

Les échanges entre souverains étaient influencés par les situations changeantes en Méditerranée. En revanche, la composition des délégations, elle, demeurait inchangée :

- L'ambassadeur(s)

- Le personnel diplomatique (interprètes, scribes, notaires, religieux, commerçants, émirs, professionnels de la diplomatie)

RECEPTION DES AMBASSADEURS A LA COUR MAMELOUKE : ITINERAIRE

Leur venue est annoncée aux frontières par les gouverneurs locaux via un système postal très efficace développé à cette époque³⁶. Les ambassadeurs restent aux frontières dans l'attente de la réponse du souverain. Une fois obtenue l'autorisation d'entrer sur le territoire, ils sont escortés jusqu'à la cour du souverain qui leur accordera une audience dans la salle du grand *Iwân* apprêtée pour l'occasion. Ornée d'une multitude de décorations et autres objets de valeur, elle donne même à voir des automates servant le thé ou jouant de la musique³⁷. Ces ambassades, porteuses de messages écrits et oraux dans un premier temps, colportaient, à leur retour de mission, des informations concernant la langue, la culture, la puissance économique, l'armée et les coutumes des contrées parcourues. Elles rapportaient, en outre, les cadeaux transmis par le sultan qui permettaient d'exposer la richesse et la puissance du donateur.

LE DON, UN CRITERE D'APPRECIATION

Les cadeaux entrent dans la propagande des souverains et varient en fonction du message que l'on veut transmettre. Il s'agissait, généralement, de propositions d'amitié, de trêve, d'échanges de prisonniers ou encore de l'annonce de l'avènement d'un nouveau souverain.

Le don apparaissait comme l'un des plus importants aspects du cérémonial diplomatique, les membres de la cour appréciaient s'offrir des cadeaux en guise de gratitude. Notons, ici, deux éléments à prendre en considération :

- La *lettre diplomatique*³⁸ (son contenu, la titulature, le poids du sceau, les matériaux utilisés, la qualité du support, l'ornementation, le style calligraphique et la valeur de l'étui).
- Les *dons* (la nature, la qualité et l'importance du don).

Les dons et le protocole diplomatique sont à l'origine de la rédaction de recueils diplomatiques et d'autres œuvres littéraires indépendantes. Le *Kitâb al-nadâyâ wa al-tuhaf* dit « Livre des dons et Trésor » écrit par Ibn al-Zubayr au XI^e siècle en est un excellent exemple.

Quatre types de dons sont pratiqués à la cour (réguliers, ordinaires, extraordinaires et occasionnels). Le don et son corollaire, le contre-don, avaient cours principalement entre le sultan et ses courtisans, même si une catégorie singulière était réservée en partie aux réceptions d'ambassades (dons occasionnels). Le sultan étant le garant des richesses sultaniennes, il se devait d'être généreux :

Don/contre-don *régulier* du courtisan envers le sultan³⁹

Don/contre-don *ordinaire* du sultan à l'égard de ses courtisans

Don/contre-don *extraordinaire*

Don/contre-don *occasionnel* : lors de la réception d'ambassades

Qu'échangeait-on lors des réceptions d'ambassades ?

Les dons étaient variés :

- Animaux : chiens, lions, faucons, chevaux, éléphants, girafes, panthères.
- Hommes non-libres : esclaves, prisonniers ou semi-esclaves (= eunuques).
- Armes : épées, lances, poisons.
- Textiles⁴⁰ : tissus, étoffes tissées de fils d'or et/ou de soie.
- Proposition matrimoniale⁴¹.
- La lettre qui, en soi, pouvait être considérée comme un don⁴⁹.
- Le sceau⁴².
- Médicaments.
- Manuscrits.
- Mobiliers : coffres, coupes, meubles.
- Œuvres d'art : savoir-faire artisanal, tableaux, cristaux taillés, orfèvrerie, vaisselle
- Monnaies : or ou argent.
- Bijoux : perles, pierres, médaillons, métaux précieux.
- Transfert de savoirs : culinaires, intellectuels.

L'appréciation du luxe était, globalement, la même à travers toutes les cours du monde. Ainsi, une certaine homogénéité est observée quant aux dons intervenant dans le contexte diplomatique. Les souverains appréciaient les cadeaux rares, précieux, ceux que l'on ne trouvait pas dans leur royaume.

Les offrandes diplomatiques s'inscrivent dans des relations de rivalité qui se tissent entre celui qui donne et celui qui reçoit et ce, dans l'optique de surenchérir au fil des dons. L'important étant de se surpasser dans l'extravagance et le luxe.

Quelle dimension ces dons avaient-ils ?

Le don traduit trois dimensions : matérielle, économique et politique.

- *Matérielle* : l'intérêt de l'objet et son utilité en soi.
- *Économique* : les cadeaux diplomatiques engendrent une dynamique artisanale (travail de la soie, des pierres, de l'or).
- *Politique* : le cadeau était synonyme de paix, d'une part, et valorisait, par ailleurs, le prestige du souverain qui le recevait.

Il s'agissait, finalement, d'offrir un cadeau que le bénéficiaire ne pourrait égaler⁴³. La rareté du don était un critère d'appréciation essentiel.

Les pigeons voyageurs permettaient une communication rapide et efficace entre les autorités locales et centrales du Caire qui annonçaient, rappelons-le, l'arrivée des délégations diplomatiques une fois celles-ci en vue. Toutefois, au vu de la taille du message, le contenu et la forme de la lettre se devaient d'être concis. Le tolédan Pero Tafur nous a fait parvenir un témoignage de ce type de communication en ces mots (1436) :

« J'ai vu là-bas pour la première fois les colombes qui portent les lettres dans une plume de la queue. On les convoie du lieu où elles ont été élevées vers un autre, on leur met la lettre et on les lâche : elles regagnent alors leur domicile. On fait cela pour connaître rapidement les nouvelles des gens qui viennent par terre et par mer, afin que les

*habitants ne soient pris par surprise, eux qui vivent sans forteresse ni mur »*⁴⁴.

Ainsi, deux types de document coexistaient :

- La lettre de créance
- La lettre diplomatique

Tout n'est pas mentionné dans la lettre, une partie de l'information demeure orale. De fait, elle devait davantage servir à la correspondance interne, recourant de nombreux points de relais pour les grandes distances. Contrairement à celui en usage chez les Abbassides, l'utilisation des pigeons voyageurs était l'exclusivité du sultan et apparaissait comme l'un des éléments de distinction hiérarchique au sein de l'élite mamelouke⁴⁵.

Ces courriers étaient privilégiés surtout en temps de guerre⁴⁶. Ainsi, les forces mongoles ont été informées du rassemblement des troupes mameloukes dans l'ensemble du sultanat par ce biais⁴⁷.

En terre chrétienne, les musulmans pouvaient jouir de trois statuts :

- Musulmans d'autres régions au service du souverain.
- Ambassadeurs.
- Prisonniers.

DOCUMENTS DIPLOMATIQUES ET MANUELS DE CHANCELLERIE

Le document diplomatique est généralement transcrit en plusieurs langues, celle de l'expéditeur et celle du destinataire. Les deux versions pouvaient se suivre sur le même support⁴⁸. Les régions du *dâr al-Islâm* ne possèdent que très peu d'archives mais de nombreuses informations nous sont parvenues grâce aux manuels de chancellerie servant de modèle pour la composition d'autres traités comme le manuel de Qalqashandî, *Subh al-a'shâ*⁴⁹ ou celui de Shihâb al-Dîn al-'Umarî qui rédigea un texte à l'usage des scribes⁵⁰. Traditionnellement, recourir à de lourdes bureaucraties ou à des chancelleries complexes n'était pas d'usage, les négociations orales⁵¹ étant davantage usitées.

Une titulature spécifique était attribuée à chacun des souverains dans les manuels de chancellerie. Ils étaient alors classés selon leurs zones géographiques d'influence et leur confession. Al-'Umarî et al-Qalqashandî consacrent un chapitre exclusif « *aux rois des infidèles* »⁵². En voici un extrait, tiré d'une traduction issue du manuel d'al-Qalqashandî montrant la façon dont sont nommés et classés les souverains chrétiens.

« Section II : Sur le protocole à observer par les rois des territoires égyptiens dans leur correspondance avec les rois des infidèles [...] Sachez que les rois infidèles des Grecs, des Francs, des Géorgiens, des Ethiopiens, et autres sont tous chrétiens [...]61 Section IV : Correspondances avec les princes infidèles dans la partie septentrionale de Rome et de Frandja, nationalités diverses mais toutes de confession melkite. Correspondance avec le Pape. Correspondance avec le roi des Romains, le souverain de Constantinople... Correspondance avec les régents de Gênes... Correspondance avec le régent de Venise... Correspondance avec la souveraine de Naples... »

ÉTUDE D'UNE RECEPTION D'AMBASSADE VENITIENNE A DAMAS AU REGARD DU TABLEAU SUPPOSÉ DE GENTILE BELLINI⁵³

DESCRIPTION DE L'ŒUVRE

L'œuvre présentée est révélatrice des relations ayant existé entre Venise et l'Orient, mettant en évidence les fastes de la cour mamelouke. De nombreux rapports de rencontres diplomatiques nous sont parvenus, mais les illustrations faisant état de cela sont trop peu nombreuses. L'œuvre exposée représente la réception d'une ambassade vénitienne à Damas qui aurait eu lieu entre 1488 et 1511. Elle est conservée au musée du Louvre à Paris sous le numéro d'inventaire 100. Il s'agit d'une peinture à l'huile sur toile, peinte à Venise en 1511. Le tableau, mesure 201 cm en largeur sur 175 en hauteur, et a été rapatrié d'Istanbul au XVII^e siècle, enrichissant de fait les collections de Louis XIV. Longtemps cette toile a été sujet à controverse quant au lieu peint (Istanbul ? Le Caire ? Damas ?)

et aux protagonistes représentés (Vizir ? Sultan ?). Tantôt attribuée à la cour ottomane tantôt aux Mamelouks, elle a fait l'objet de nombreux débats aux divergences non moins importantes⁵⁴. Enfin, s'agissant de l'artiste, la paternité de l'œuvre, elle aussi, demeure très controversée : si l'auteur n'est pas Gentile BELLINI, la peinture est du moins de la main de l'un de ses élèves. Gentile BELLINI est un peintre italien du XV^e siècle, né en 1429 et décédé en 1507 à Venise, appartenant à une famille de peintres remarquables⁵⁵. Notons qu'il fut l'un des peintres les plus talentueux de son époque ayant même été désigné pour réaliser le portrait du sultan Mehmed II⁵⁶. Venise étant une plaque tournante de l'apparat commercial méditerranéen, la cité put s'exporter au-delà de l'Italie, vers l'Anatolie, la Grande Syrie et en Égypte. Son statut de chef de file commercial lui a permis d'exercer une hégémonie économique (grâce au commerce des épices) sur l'ensemble de la Méditerranée durant des siècles. Cette position a engendré des relations diplomatiques privilégiées avec les états musulmans d'Orient, au premier plan

desquels celui des Mamelouks.

De nos jours encore, quelques doutes subsistent quant à l'interprétation du tableau. Dans un premier temps, on y voyait la représentation d'un vizir à la cour ottomane, puis le sultan Mehmet II lui-même recevant un dignitaire vénitien à Istanbul⁵⁷, l'attribuant alors avec certitude à Gentile BELLINI qui s'était rendu sur ces terres en 1479⁵⁸. Cette version avait induit une réflexion de Marco BOSCHINI, un théoricien de l'art et peintre italien du XVII^e siècle. D'après lui, la bâtisse à l'arrière-plan ne pouvait être que la basilique Sainte- Sophie⁵⁹. Cette hypothèse avait été acceptée jusqu'à ce que l'avis de Charles SCHERFER devienne la plus plausible.

INTERPRETATION

Charles SCHERFER y voit, en effet, la réception d'une ambassade à la cour mamelouke, démontrant qu'il ne pouvait s'agir d'un événement se déroulant à Istanbul⁶⁰. Il y voyait plutôt l'Égypte et la Citadelle du Caire mettant en scène le sultan mamelouk Qansuh al-Ghawri⁶¹ recevant un haut dignitaire vénitien du nom de Domenico TREVISANO, alors procureur⁶². Cette version est plus proche de la réalité tout en restant défailante. De fait, cette ambassade a bien eu lieu toutefois, l'identité de l'auteur initialement évoqué devient incertaine et source de questionnements. Cette ambassade s'est bien rendue sur les lieux en 1512, seulement Gentile BELLINI meurt en 1507⁶³. Dès lors, cette interprétation ne peut s'avérer concluante, nous pouvons pour cela analyser la description donnée par l'un des témoins oculaires⁶⁴ de cette ambassade pour s'en rendre compte :

« Nous entrâmes enfin dans une vaste cour à ciel ouvert, bien plus grande que la cour de Saint-Marc. Le Soudan était assis au fond de cette cour, sur un mastaba élevé de deux pieds au-dessus du sol et couvert de velours vert. Il avait sur la tête une très haute coiffe, avec deux cornes hautes d'un demi-bras. Le derrière de cette coiffe était formé d'une toque à côtes dont je ne saurais donner la description. Il était vêtu d'une robe de coton, sur laquelle il avait enfilé une autre robe de camelot vert foncé et il était assis, les jambes croisées, à la manière des tailleurs. A sa droite étaient placés son sabre et son bouclier. Non loin de lui et à sa droite se

*tenaient vingt personnes environ ; toutes étaient vêtues de blanc et avaient une coiffure semblable à la sienne ».*⁶⁵

Cette description aurait pu correspondre à ce tableau étant donné les nombreuses similitudes, toutefois certains détails demeurent inexacts⁶⁶:

- L'espace décrit est beaucoup moins grand que celui de Saint-Marc.
- Le *mastaba* est recouvert d'un tissu rouge et non vert.
- Le chapeau que porte le personnage principal comporte quatre cornes et non deux.
- Le sabre et le bouclier sont absents.
- Les nombreux mamelouks présents ne sont pas tous vêtus de blanc et portent une *taqqiya* sur la tête.

De nombreux éléments permettent ainsi de définir le cadre dans lequel se déroule la scène. D'une part, les éléments architecturaux apportent quelques informations à propos d'un monument toujours existant : la mosquée des Omeyyades. S'ajoutent à ceux-ci d'autres éléments, vestimentaires en l'occurrence, typiques de la région de la Grande Syrie, notamment en ce qui concerne les dames au second plan arborant le *tantur*, et les vêtements portés par les paysans originaires de la région de Naplouse au premier plan à gauche indiquent que cette scène se passe dans la région du *bilâd al-Shâm*⁶⁷.

Figure 02 : Femmes vêtues du *tantur*

La rencontre, modeste, intervient entre individus se connaissant déjà très bien puisque, habituellement, la réception aurait lieu dans une salle dédiée à cet effet, appelée salle d'Audience.

planter dans les jardins de la Citadelle, lieu de résidence de la cour⁷⁵.

Figure 03 : Délégation vénitienne

MISE EN SCENE : LA COUR AU COMPLET

Le peintre a représenté une véritable scène de cour. L'individu coiffé d'un grand couvre-chef est le personnage principal auquel s'adresse la délégation, probablement s'agit-il d'un émir. Il est assis, jambes croisées à la turque⁶⁸, sur un *mastaba*⁶⁹ de velours rouge, la main posée sur ses genoux. Ses pieds sont recouverts d'un tissu vert kaki. À ses côtés, quatre religieux (sûrement des cadis) sont reconnaissables au turban blanc qu'ils arborent. Près de l'émir, deux d'entre eux se tiennent debout, les deux autres étant assis⁷⁰. Ils représenteraient les cadis des quatre écoles juridiques. En face, proche de la délégation vénitienne, se tient un homme de dos s'adressant à l'émir, c'est l'interprète (drogman), un personnage incontournable des rencontres diplomatiques. Deux groupes de personnages portant des *tâqîya-s* rouges, constituent l'élite militaire des Mamelouks, ils sont reconnaissables à leurs vêtements. La délégation vénitienne est constituée, quant à elle, de cinq personnes habillées de la même manière, dont une se distingue de par sa toge rouge écarlate⁷¹. Souvent fait de laine, ce vêtement, emprunté à la Rome antique, est réservé aux doges de Venise⁷². A l'époque mamelouke, le vêtement était un élément de distinction sociale. Et grâce à ces quelques observations vestimentaires, nous pouvons sur ce tableau distinguer plusieurs catégories qu'il est possible de classer selon le genre, l'origine sociale, le rang ou la provenance géographique.

Dans le cadre de leur quête des épices et la lutte menée contre les Portugais, les Vénitiens et les Mamelouks entretenaient d'excellentes relations⁷³. Voilà pourquoi Jean SAUVAGET pense qu'il s'agit de commerçants résidant sur place⁷⁴. La modestie protocolaire relevée atteste parfaitement du fait que les protagonistes en présence se connaissent de longue date.

Les nombreux animaux et l'environnement verdoyant apportent une touche exotique à l'œuvre. La Syrie était connue pour ses nombreux arbres fruitiers dont le sultan mamelouk raffolait. Il en faisait importer de nombreuses variétés pour les

Les deux dynasties mameloukes ont été à l'initiative de nombreux projets monumentaux et architecturaux. A l'arrière-plan, nous remarquons la grande mosquée des Omeiyades et ses minarets. Le minaret de Qaitbay, construit en 1488, se situe au troisième plan, à gauche, de l'œuvre. Il est pourvu de cinq fenêtres extérieures et est orné d'éléments propres à l'architecture mamelouke.

Figure 04 : Comparaison entre la peinture et une photographie du minaret du sultan Qaytbây.

Nous comprenons dès lors, grâce aux indications vestimentaires et architecturales, que la

scène représentée a pour cadre Damas entre 1488 et 1511, peinte sous le règne d'al-Ghawrî en 1511.

C'est ainsi que les Mamelouks se sont présentés deux siècles et demi durant comme les garants de l'orthodoxie sunnite après le transfert de la capitale califale de Baghdâd vers Le Caire. Ils héritèrent, de ce fait, d'une longue tradition diplomatique des puissantes dynasties qui les ont précédées en Égypte depuis l'avènement de l'Islam. Il s'est installé par la suite au Caire une vie de cour intense, où le cérémonial prit une place prépondérante. Chaque élément du quotidien était soumis à un protocole complexe et minutieux, comme ce fut notamment le cas pour les réceptions d'ambassades où la cour se trouvait au-devant des négociations. L'ambassadeur était nommé par le sultan, et devait représenter les intérêts sultaniens à la cour des souverains les plus puissants du monde connu. Ces délégations étaient accompagnées de cadeaux de prestige qui définissaient le niveau d'appréciation de celui qui les recevait.

Figure 05 : Tableau supposé de Gentile Bellini représentant « la réception d'une ambassade vénitienne à Damas »

- ¹ Collectif, *op. cit.*, p. 149-169 passim; IBN IYAS, *Journal d'un bourgeois du Caire* I, tr. G. Wiet, Tome I, (Paris 1955), 1945, p. 63. [Rabi' I 910] : « La crue du Nil bēni atteignit son maximum le 7, qui correspondait au 25 mēsori, soit dix-sept jours plus tard que l'année précédente : ce jour-là, le niveau était de 17 coudées et 5 doigts. Le maréchal Qait présida la cérémonie de la rupture de la digue, au milieu d'une grande affluence ; ce fut la dernière fois, car le maréchal allait être très bientôt emprisonné comme nous allons le voir. »
- ² BRESC, *op. cit.*, p. 84/ IBN IYAS, Tome I, p. 48. [Dhul-qa'da] : « Le 1er correspondait au 18 bashans de l'année copte, le sultan quitta sa tenue de laine pour se vêtir de blanc et commença les parties de polo. » Le beige pour l'hivers et le blanc pour l'été. »
- ³ CARAYON Agnès, La furussiyya des mamlûks : une élite sociale à cheval, Thèse d'État, Université Aix-Marseille, Aix-en-Provence, 2012, p. 399. ; BRESC, *op. cit.*, p. 84/ IBN IYAS, Tome I, p. 48 (Se référer à la note précédente.)
- ⁴ IBN IYAS, Tome I, p. 37. [Rabi' I 908] : « Le Sultan célébra dans la Cour royale l'anniversaire de la naissance du Prophète, en présence des quatre cadis et des vingt-quatre commandants de mille au grand complet, ce qui ne s'était presque jamais vu. »
- ⁵ Pèlerinage des musulmans à La Mecque, un des cinq piliers de l'Islam. (BRESC, *op. cit.*, p. 84.)
- ⁶ Paroles et faits relayés dans un recueil selon une chaîne de transmission bien précise. (BRESC, *op. cit.* p. 84. »)
- ⁷ Savant musulman du IX^e siècle à l'origine du plus étendu et connu recueil de hadith ; IBN IYAS, Tome I, p. 229. [Ramadhân 919] : « La lecture complète de Traditions de Bukhârî eut lieu le jeudi 26 sous la grande tente dressée au milieu de la Cour royale, selon l'usage. Assistèrent à cette cérémonie grandioses les quatre cadis, les grands ulémas et les bourses furent attribuées comme d'habitude. »
- ⁸ Pilier de l'islam qui laisse place à un mois de jeûne du lever au coucher du soleil. (Collectif, *op. cit.*, p. 124-125.)
- ⁹ La prière de la fête du sacrifice et la rupture du jeûne se faisaient généralement à l'hippodrome.
- ¹⁰ La prière du vendredi se faisait à la mosquée de la Citadelle, le discours était prononcé par le calife en personne. La venue du sultan se faisant en grand apparat.
- ¹¹ BRESC, *op. cit.*, p. 84.
- ¹² *Ibid.*, p. 84.
- ¹³ Le défilé à cette occasion était parmi les plus importants, l'ensemble de la ville était décoré et remis à neuf. L'ensemble des emblèmes de la souveraineté y était exhibé. De même que des tapis de soie étaient étalés au sol sur l'itinéraire que le sultan devait emprunter, de Bâb al-Nâsr à la Citadelle. Cette pratique était attestée seulement lors du retour d'un très long voyage du sultan.
- ¹⁴ L'audience des Mazâlim avait lieu dans l'Iwân ou à la maison de justice. « Les grands kidât des quatre rites sont à sa droite, puis viennent les fonctionnaires financiers tandis qu'à sa gauche se trouve le vizir, s'il est homme de plume, puis le Kaâtib al-sirr. Le protocole semble accorder la préséance aux civils puisque les hommes de sabre sont debout à l'exception des grands émirs de cent qui sont assis derrière le sultan. Le deuxième signe de préséance réside dans le fait que les personnages les plus honorés siègent à droite du souverain. » (CHAPOUTOT, *Liens*, p. 91.)
- ¹⁵ *Ibid.*, p. 90.
- ¹⁶ MALAMUT Élisabeth et OUFELLI Mohamed (dir.), *Les échanges en Méditerranée médiévale. Marqueurs, réseaux, circulations, contacts*, Aix-en-Provence, Presses universitaires de Provence, 2012, p. 69.
- ¹⁷ *Ibid.*, p. 88.
- ¹⁸ CHAPOUTOT, *Liens*, p. 91.
- ¹⁹ La référence étant le traité contracté entre les musulmans de Médine et les Qurayshites de La Mecque (Traité d'al-Hudaybiya signé en 628.)
- ²⁰ TALBI Alaa, « Un exemple de diplomatie en temps de guerre entre les Mongols de Perse et les Mamelouks d'Égypte », dans *Annales Islamologiques* 41, 2007, p. 121.
- ²¹ Historien et mathématicien égyptien du XV^e siècle.
- ²² Théologien et juriste musulman du XVIII^e siècle, surnommé *sheikh al-islâm* (=savant de l'islam)
- ²³ ZOUACHE Abbès, « La guerre dans le monde arabo-musulman médiéval : perspectives anthropologiques. Introduction », dans *Annales Islamologiques* 43, 2009, p. 17.
- ²⁴ ZOUACHE, *op. cit.*, p. 18.
- ²⁵ Sultan mamelouk, de la dynastie bahrite ayant régné sur le sultanat de 1279 à 1290.
- ²⁶ Le terme « *harb* » est préféré - *Ibid.*, p. 18.
- ²⁷ Juriste musulman d'obédience shafi'ite, il endossa plusieurs fois la fonction d'ambassadeur pour les califes abbassides.
- ²⁸ OUFELLI Mohamed, *Gouverner en Islam entre le X^e siècle et le XV^e siècle. Iraq jusqu'en 1258, Syrie, Hijaz, Yémen, Égypte, Maghreb et al-Andalus*, Paris, Ellipses, coll. « CAPES/Agrégation », 2014, p. 87.,
- ²⁹ AL-MAQRIZI, *Histoire des sultans mamlouks de l'Égypte*, trad. QUATREMERRE, Paris, 1840, t.1, p. 183-185. / Ce discours s'inscrit dans un contexte où le calife abbasside a été rétabli pour légitimer le pouvoir mamelouk, c'est ainsi que le calife prononce ce discours en l'honneur du sultan Baybars en 1262 (OUFELLI, *Gouverner*, p. 86.)
- ³⁰ JAVIER APELLANIZ RUIZ DE GALARRETA Francisco, « Banquiers, diplomates et pouvoir sultanien. Une affaire d'épices sous les Mamelouks circassiens », dans *Annales Islamiques* 38, 2004, p. 285.
- ³¹ = Commerçants
- ³² *Ibid.*, p. 295.
- ³³ Savant maghrébin du XV^e siècle, il est considéré comme le père de la sociologie.
- ³⁴ A noter que certains ambassadeurs n'étaient pas musulmans.
- ³⁵ CUTLER Anthony, « Les échanges de dons entre Byzance et l'Islam » dans *Journal des savants*, Volume 1, Numéro 1, 1996, p. 53.
- ³⁶ Il s'agissait d'un système mis en place par les Byzantins pour avertir des événements.
- ³⁷ Des individus comme al-Jazarî ont permis des progrès en matière scientifique et notamment dans le domaine mécanique aux XII^e- XIII^e siècles. Il a été rendu populaire par son "*Livre de la connaissance des procédés mécaniques*" (*Kitab fi ma'rifat al-hiyal al- handasiyya*) rédigé en l'an 1206. Certains automates servaient du thé, d'autres jouaient de la musique ou encore donnaient l'heure. Toutes les cours du monde connues s'empressaient d'acquiescer cela.
- ³⁸ CUTLER Anthony, « Les échanges de dons entre Byzance et l'Islam » dans *Journal des savants*, Volume 1, Numéro 1, 1996, p. 53
- ³⁹ A titre d'exemple, lors d'une visite du sultan Barqûq en Syrie, le gouverneur lui offrit 50 chevaux, 32 juments, 118 chevaux de trait, 4 files de chameaux et 80 chameaux, on chargeait ces animaux de fruits, de sucrerie, de légumes marinés et d'autres aliments, c'est dire l'importance et l'aspect non négligeable de ces offrandes.
- ⁴⁰ Le don pouvait être exposé en jour de fête, la cour était friande de ce genre de décorations (*Ibid.*, p. 52.)
- ⁴¹ Parmi les exemples de correspondances entre les royaumes chrétiens d'Occident et les royaumes musulmans d'Orient, un fait marqua les esprits. Une femme qui se présentait comme « Reine des Francs » proposa au calife al-Muktafi (293H/906) une multitude de dons, dont sa main en mariage, à condition de l'aider à repousser les Sarrasins. Il s'agissait probablement de Théodora épouse du sénateur romain Théophylacte. (CUTLER, *op. cit.*, p. 51-52)
- ⁴² Le sceau d'or était surtout le fait des souverains byzantins. Le poids variait selon la stature du bénéficiaire.

⁴³ Voici l'exemple d'une évaluation de don à la cour byzantine : « *Et puis [après la troisième prostration de l'ambassadeur] les silentiarii reçoivent tous les cadeaux et ils les livrent, puis se fait l'évaluation des dons. Et les responsables de la vestosakra amènent l'évaluation au magistrat pour qu'il sache quelle est [la valeur] de chaque cadeau, de sorte qu'il soit en mesure de rappeler à l'empereur au moment des échanges des cadeaux ce qu'il doit faire renvoyer par ses ambassadeurs.* » (Le rituel d'évaluation des dons à la cour byzantine, De ceremoniis, I : 89, 407, ligne 7-13.) Le De ceremoniis aulæ byzantinæ (« Des cérémonies de la cour byzantine ») est le terme latin utilisé pour désigner la compilation des protocoles cérémoniels de la cour impériale byzantine.

⁴⁴ Cité dans RAGHREB Youssef, *Les messagers volants en terre d'Islam*, CNRS, Paris, 2002, p. 153/ On appelait cela « écriture de poussière » (= *Qalam al-Janâh*) du fait de la finesse de la calligraphie. 53 *Ibid.*, p. 167.

⁴⁵ *Ibid.*, p. 167.

⁴⁶ *Ibid.*, p. 168.

⁴⁷ OUERFELLI, *Les échanges*, p. 72.

⁴⁸ Ce manuel fait état d'accords conclus entre les autorités mameloukes et les principautés franques de Syrie -Palestine. (*Ibid.*, p. 71.)

⁴⁹ Fonctionnaire du XIV^e siècle au service des sultans mamelouks.

⁵⁰ OUERFELLI, *Les échanges*, p. 74.

⁵¹ Souverains chrétiens orientaux : L'empereur byzantin, le roi de Géorgie, le roi de Serbie, le roi de Sinope, le roi de Petit-Arménie, le roi de Rhodes, Souverains chrétiens occidentaux : Roi d'Andalousie (Alphonse) et roi de France, le Pape, le gouverneur de Gênes, le gouverneur de Venise, le gouverneur de Naples et les gouverneurs des états d'Espagne

⁵² S'en suit l'ensemble des rois chrétiens d'Orient, des Balkans et d'Espagne.

⁵³ Figure 05 : La réception d'une ambassade vénitienne à Damas.

⁵⁴ SAUVAGET Jean, « Une ancienne représentation de Damas au Musée du Louvre », dans *Bulletin d'études orientales* II, 1945-1946, p. 01.

⁵⁵ VASARI Giorgio, *Les Vies des meilleurs peintres, sculpteurs et architectes*, édition commentée et traduction sous la direction d'André Chastel, Tome 4, Berger-Levrault, 1984, p. 168.

⁵⁶ *Ibid.*, p. 55 – Il s'agit du septième sultan ottoman (1479 – 1481).

⁵⁷ SCHERFER Charles, « Note sur un tableau du Louvre naguère attribué à Gentile Bellini » dans *Gazette des beaux arts*, Paris, Aout 1895, p. 20.

⁵⁸ THENAUD Jean, *Le voyage d'Outremer (Egypte, mont Sinay, Palestine) [par Zaccaria Pagani]* ; publ. et annot. par Ch. Schefer, p. 87.

⁵⁹ DE RICCI Seymour, *Description raisonnée des peintures du Louvre: Ecoles étrangères Italie, Espagne*, Volume 1, n°1157, Paris, 1913, p.49.

⁶⁰ SAUVAGET, *Une ancienne représentation*, p. 05.

⁶¹ Avant dernier sultan mamelouk (1501-1516).

⁶² DE RICCI, *op. cit.*, p. 49.

⁶³ SAUVAGET, *Une ancienne représentation*, p. 06.

⁶⁴ *Ibid.*, p. 6.

⁶⁵ Il s'agit d'une relation d'ambassade de mai 1512 de Zaccaria PAGANNI (SCHERFER, *op. cit.*, p. 202-204.)

⁶⁶ SAUVAGET, *Une ancienne représentation*, p. 06.

⁶⁷ Terminologie arabe signifiant « Grande Syrie ».

⁶⁸ « *Les jambes croisées sont généralement le fait de personnages qui détiennent le pouvoir.* » (GARNER, *op. cit.*, Tome I, p. 229.)

⁶⁹ Une sorte d'estrade.

⁷⁰ La position assise est la même que celle de l'émir, cela peut traduire l'imitation d'un supérieur par un inférieur. Le supérieur est clairement identifié par ses attributs (couvre-chef, position, distance etc.), en reproduisant la position de leur supérieur, les deux cadis manifestent « un accord de soumission » avec celui-ci (*Ibid.*, p.51)

⁷¹ L'individu qui se distingue par son vêtement rouge est positionné de profil, ce qui a pour signification un signe d'infériorité qui contraste avec la position trois quarts des autres personnages, ce qui n'a pas de sens spécifique, puisqu'elle est la position la plus fréquente. (GARNIER, *op. cit.*, Tome I, p. 124.)

⁷² S'agit-il d'un ambassadeur ou d'un consul ? La question est posée par SAUVAGET, *op. cit.*, p. 10.

⁷³ SCHERFER, *op. cit.*, p. 202.

⁷⁴ SAUVAGET, *op. cit.*, p. 10.

⁷⁵ C'est en 912/1507, qu'al-Ghawrî y aménagea un jardin avec des arbres et des végétaux importés du *bilâd al-Shâm*, donnant la sensation d'une véritable oasis dans un climat désertique notamment grâce à la bifurcation de l'aqueduc pour alimenter ces plantes. La chronique d'Ibn Iyâs est un bon moyen de s'en rendre compte : (IBN IYAS, Tome I, p. 99. [*Sha'bân* 912] : « *Le sultan reçut de Syrie des arbustes transportés dans des caisses avec leur terre: pommiers de Syrie, poiriers, cognassiers, cerisiers, plants de vigne, ainsi que des plantes odoriférantes, telles que roses blanches, lis, iris, et d'autres produits de la flore syrienne, jusqu'à un cocotier, également empoté.* »)